

الدور الناشئ للرأي العام ووسائل التواصل الاجتماعي في سياسة الشرق الأوسط



هجوم حماس: تعطيل عملية السلام في الشرق الأوسط
حتى النصف الثاني من عام 2023، كانت دول الشرق الأوسط والدول الإسلامية قد أبعدت القضية الفلسطينية إلى الهامش، وغالباً ما فضلت مكاسب السياسة الواقعية على إظهار الدعم الأيديولوجي لفلسطين. مع قيام دولة الإمارات العربية المتحدة - أحد أقوى وسطاء السلطة في المنطقة - بتطبيع العلاقات مع إسرائيل (من بين دول أخرى) بموجب اتفاقيات إبراهيم، بدا أن حليفها الوثيقة، المملكة العربية السعودية، من المرجح أن تحذو حذوها وتتنسى القضية الفلسطينية.

وحتى الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، وهو مؤيد مالي ولوجستي قوي لجماعة حماس المسلحة، كان يعمل ببطء على زيادة العلاقات التجارية وغيرها مع إسرائيل في محاولة لدعم اقتصاده المتدهور والاستفادة من اكتشاف الغاز في البحر الأبيض المتوسط. كانت الولايات المتحدة في عهد بايدن تتجه ببطء نحو فكرة عملية السلام في الشرق الأوسط غير المرتبطة بالأفعال الإسرائيلية في فلسطين.

ومع ذلك، فقد تأثرت هذه العمليات بشكل كبير بهجمات 7 أكتوبر/تشرين الأول في إسرائيل عندما مزقت حماس أنظمة دفاع إسرائيلية متطورة لشن هجوم بري وجوي وبحري منسق. وفي هذه العملية، قُتل أو أُسر مواطنون إسرائيليون، مما أدى إلى رد فعل وحشي من جانب إسرائيل أدى إلى مقتل العديد من الفلسطينيين خلال الأشهر القليلة الماضية.

تداعيات
وأدت الحرب التي تلت ذلك بين إسرائيل وفلسطين إلى إدانات واسعة النطاق لكل من إسرائيل وحماس وإلى تغييرات جيوسياسية كبيرة في المنطقة. أولاً، وصل مسار اتفاقيات إبراهيم إلى طريق مسدود، بل وانعكس في بعض الحالات. واضطرت المملكة العربية السعودية، التي كانت على وشك تطبيع العلاقات مع إسرائيل، إلى إيقاف خططها مؤقتاً والتركيز على إنهاء الحرب في أسرع وقت ممكن. وسرعان ما لجأ أردوغان، الذي بدا محايداً في البداية، إلى انتقادات صريحة لإسرائيل وزعيمها نتنياهو.

ومن الأمور المحيطة بالنسبة للقيادة الإسرائيلية أنها لم تنجح في تحقيق هدفها الأولي المتمثل في تدمير حماس فحسب، بل لقد أحييت تصرفاتها أيضاً إلى محكمة العدل الدولية بتهمة الإبادة الجماعية. ورغم عدم صدور حكم ملموس، فإن المداولات بشأن تصرفاتها جاءت بمثابة ضربة قوية لصورتها في محكمة الرأي العام العالمي.

وفي الآونة الأخيرة، تزايدت الدعوات لحل الدولتين بشكل ملحوظ. يشير حل الدولتين إلى إقامة دولة فلسطينية منفصلة على أساس الحدود المتفق عليها في عام 1967، وهي خطوة من شأنها أن تمنح فلسطين السيادة، وبالتالي الوجود في الهيئات الدولية مثل الأمم المتحدة. ورفض رئيس الوزراء الإسرائيلي نتياهو بشدة مثل هذه الخطوة، معتبراً أنها تشكل تهديداً أمنياً.

ومع ذلك، فإن هذه الدعوات ازدادت قوة منذ بدء الحرب. وحتى الرئيس الأمريكي بايدن، أقرب حليف لإسرائيل، كرر دعواته لحل الدولتين بعد أن تهدأ الحرب. أعلنت المملكة العربية السعودية مؤخراً أنها لن تطبع العلاقات مع إسرائيل دون طرح حل الدولتين على الطاولة.

شرح الانتكاسات السياسية: الرأي العام

إن مسار علاقات الشرق الأوسط مع إسرائيل قبل أكتوبر 2023 والدعم الأمريكي طويل الأمد لإسرائيل يوضح أن العوامل الأيديولوجية لا تحفز هذه الدعوات المتجددة لحل الدولتين. كان الدخول الجديد إلى الصندوق الأسود لصنع السياسة الخارجية هو الحضور القوي للرأي العام الداعم لفلسطين، مما أجبر قادة الدولة على اتخاذ مواقف محايدة على الأقل، إن لم تكن إيجابية تجاه فلسطين.

لقد كانت وسائل التواصل الاجتماعي إحدى أقوى الأدوات التي يستخدمها مستخدمو الإنترنت لتسليط الضوء على الأعمال الوحشية المختلفة التي يمارسها الجيش الإسرائيلي في فلسطين والتأثير على الرأي العام. وفي هذا الإطار، قام مواطنون صحفيون، مثل وائل الدحود ومعتز عزايرة، بتوثيق قضايا مختلفة في فلسطين تجاوزت وسائل الإعلام التقليدية ووصلت إلى المواطنين العاديين في جميع أنحاء العالم.

كان التأثير شديداً للغاية لدرجة أن مسؤول TikTok اضطر إلى إصدار توضيح مفاده أن هذه الخوارزمية ليست لصالح الرأي المؤيد للفلسطينيين، ولكن مستخدمي TikTok كانوا ينشرون بأغلبية ساحقة لصالحها. بالإضافة إلى ذلك، فإن وسائل الإعلام مثل الجزيرة، وWorld TRT، وNews RT، ووسائل الإعلام البديلة التي لا تتخذ خطأً غربياً بشأن الصراع، أعطت المزيد من الخيارات للجمهور لاستهلاك الأخبار المؤيدة للفلسطينيين.

وكان لهذا تأثير قوي على السياسة الداخلية في العديد من البلدان. على سبيل المثال، انخفضت شعبية الرئيس الأمريكي بايدن بشكل كبير بشأن القضية الفلسطينية. كانت هذه إحدى الحالات الأولى التي أدت فيها قضية السياسة الخارجية التي لا تتعلق بالجنود الأمريكيين (على الأقل خلال الأشهر القليلة الأولى) إلى انخفاض معدلات الموافقة. ويواجه الديمقراطيون أيضاً انتخابات مقاربة في عام 2024 حيث يحاول الرئيس السابق دونالد ترامب العودة. وعلى هذه الخلفية، أطلقت الولايات المتأرجحة مثل ميشيغان وأريزونا ومينيسوتا وغيرها، التي تضم أعداداً كبيرة من السكان العرب الأميركيين، حملات للتصويت ضد الديمقراطيين، مما أدى إلى تحركات مثل الكشف عن سجل الإسلاموفوبيا لتهدة الناخبين المسلمين.

وبالمثل، تأثرت تركيا والمملكة العربية السعودية أيضاً بضغط الرأي العام. وهكذا، على الرغم من أن أردوغان حاول الحفاظ على موقف محايد وعرض التوسط في الصراع، فإن الرأي العام في البلاد، كما رأينا في المظاهرات الكبيرة المؤيدة لفلسطين، دفعه إلى تغيير موقفه وإدانة إسرائيل بشدة. ويمكن رؤية أنماط مماثلة في العديد من البلدان الأخرى مثل مصر والأردن والعديد من الدول الأخرى ذات الأغلبية العربية والمسلمة في جميع أنحاء العالم. على سبيل المثال، استدعت البحرين، التي قامت بتطبيع العلاقات مع إسرائيل، سفيرها لدى إسرائيل (وهي خطوة أقل من قطع العلاقات)، مما يدل على تراجع المكاسب السياسية التي حققتها إسرائيل في المنطقة. وكما يقيس مشروع البارومتر العربي في برينستون، فإن الرأي العام في أجزاء كبيرة من العالم العربي أصبح بشكل متزايد لصالح فلسطين، وفي بعض الحالات، حتى حماس كحركة مقاومة بسبب الانتشار الواسع لوسائل التواصل الاجتماعي والمنافذ الإخبارية المحلية.

خاتمة

لم يكن هجوم 7 أكتوبر مجرد هجوم على المصالح الإسرائيلية، بل كان أيضاً هجوماً على تطبيع العلاقات مع إسرائيل في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي. إن عودة الرأي العام كقوة تعبئة قوية هي أحد العوامل الكبيرة التي أجبرت الدول الغربية والعربية على حد سواء على تغيير مسار نظرتها تجاه إسرائيل والصراع. ومما لا شك فيه أن هذا قد لا يكون العامل الوحيد الذي يحرك السياسة، لكنه بالتأكيد سيلعب دوراً رئيسياً في المستقبل.

وبالتالي، فإن فهم النتيجة المستقبلية لصراعات الشرق الأوسط يستلزم تجاوز الاعتبارات السياسية التقليدية وإضافة ردود الفعل التي تقودها وسائل التواصل الاجتماعي إلى هذا المزيج أيضاً. وبينما بدأ أن هناك تراجعاً في دعم القضية الفلسطينية على مدى العقدين الماضيين، فقد لعب ظهور وسائل الإعلام الإخبارية البديلة ووسائل التواصل الاجتماعي دوراً قوياً في حشد الدعم مرة أخرى. على هذا النحو، في المستقبل، سيتعين على قادة الدول أن

يأخذوا في الاعتبار الحالة المزاجية لدولهم عند اتخاذ قرار بشأن كيفية التعامل مع الصراعات المستقبلية، خاصة عندما يتعلق الأمر بإسرائيل، والتي ثبت أنها من بين أصعب القضايا التي يجب التعامل معها حتى الآن.